

الله تعالى قبله لان جميع الاشياء مرايا لتجليله جل جلاله وذلك لان في التسبيح والحمد توجها بالذات للجلال الخالق وكاله وفي الاستغفار توجها بالذات لحال العبد وتقصيراته ويجوز أن يكون تاخير الاستغفار عنهما لما أشرنا اليه في مشروعية تعقيب العبادة بالاستغفار وقيل في تقديمها عليه تعليم أدب الدعاء وهو ان لا يسأل حاجة من غير تقديم التناه على المسؤل منه ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ أى منذ خلق المكلفين أى مبالغا في قول توبتهم فليكن المستغفر اثائب متوقعا لقبول فالحملة في موضع التعليل لما قبلها واختيار توابا على غفارا مع انه الذى يستدعيه استغفره ظاهراً للتنيه كما قال بعض الاجلة على ان الاستغفار إنما ينفع اذا كان مع التوبة وذكر ابن رجب ان الاستغفار المجرد هو التوبة مع طلب المغفرة بالدعاء والمقرون بالتوبة فاستغفر الله تعالى وأنوب اليه سبحانه هو طلب المغفرة بالدعاء فقط وقال أيضا ان المجرد طلب وقاية شر الذنب الماضى بالدعاء والتدم عليه ووقاية شر الذنب المتوقع بالزعم على الاقلاع عنه وهذا الذى يمنع الاصرار كما جاء ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة ولا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار والمقرون بالتوبة مختص بالنوع الاول فان لم يصحبه التدم على الذنب الماضى فهو دعاء محض وان صحبه ندم فهو توبة انتهى والظاهر أن ذلك الدعاء المحض غير مقبول وفيه من سوء الادب مع الله تعالى ما فيه وقال بعض الافاض ان في الآية احتسابا والاصل واستغفره انه كان غفارا وتب اليه انه كان توابا وأيد بما قدمناه من حديث الامام أحمد ومسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها وحمل الزمان الماضى على زمان خلق المكلفين هو ما ارتضاه غير واحد وقال المتريدى في التاويلات أى لم يزل توابا لا أنه سبحانه تواب بامر اكتسبه وأحدثه على ما يقوله المترلة من أنه سبحانه صار توابا اذا أنشأ الخلق فتابوا فقبل توبتهم فاما قبل ذلك فلم يكن توابا ورد عليه بان قبول التوبة من الصفات الاضافية ولا تزاع في حدودها واختار بعضهم ما ذهب اليه المتريدى على أن المراد أنه تعالى لم يزل بحيث يقبل التوبة وما له قدم منشا قبولها من الصفات الالفة به جل شأنه وفي ذلك مما يقوى الرجاء به عز وجل ما فيه وصح لولم تذبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذبون ثم يستغفرون فيغفر لهم وفي الاستغفار خير الدنيا والآخرة أخرج الامام أحمد من حديث عطية عن أبى سعيد رفوعا من قال حين يابى الى فراشه استغفر الله انذى لا اله الا هو الحى القيوم وأنوب اليه غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وان كانت مثل رمل عالج وان كانت عدد ورق الشجر وأخرج أيضا من حديث ابن عباس من أكثره من الاستغفار جعل الله تعالى له من كل هم فرجا وأنا أقول سبحانه الله وبحمده أستغفر الله تعالى وأنوب اليه واسأله أن يجعل لي من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا بحرمة كتابه وسيد أحبابه صلى الله تعالى عليه وسلم

سورة تبت

وتسمى سورة المسد، وهي مكية وآياتها خمس بلاخلاف في الامرين ولماذا كرر سبحانه فيما قبل دخول الناس في ملة الاسلام عقبه سبحانه بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه

على نفسه فليكن من ضاع عمره ^{تبت} وليس له منها نصيب ولا سهم

كذا قيل في وجه الاتصال وقيل هو من اتصال الوعيد بالوعد وفي كل سورة له عليه الصلاة والسلام وقال الامام في ذلك انه تعالى لما قال لكم دينكم ولي دين فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال الهى فما جزائى فقال الله تعالى لك النصر والفتح فقال فما جزاء عمى الذى دعانى الى عبادة الاصنام فقال تبت يداه وقدم الوعد على الوعيد

ليكون النصر متصلا بقوله تعالى ولي دين والوعيد راجعا الى قوله تعالى لكم دينكم على حد يوم تبيض وجوه الآتية فتأمل هذه المجانسة الحاصلة بين هذه السور مع أن سورة النصر مع آخر ما نزل بالمدينة وتبت من أوائل ما نزل بمكة لتعلم ان ترتيبها من الله تعالى وبامرہ عزوجل ثم قال ووجه آخر وهو انه لما قال لكم دينكم ولي دين فكانه قيل الهى ما جزاء المطيع قال حصول النصر والفتح ثم قيل فا جزاء العاصى قال الحسار فى الدنيا والعقاب فى العقبى كما دلت عليه سورة تبت انتهى وهو كما ترى

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَبَّتْ) أى هلكت كما قال ابن جبير وغيره ومنه قولهم أشابهة أم تابة يريدون أم هانكة من الهرم والتعجيز أى خسرت كما قال ابن عباس وابن عمر وقتادة وعن الأول أيضا خابت وعن يمان بن وثاب صفت من كل خير وهي على ما فى البحر أقوال متقاربة وقال الشهاب ان مادة التباب تدور على القطع وهو مؤد الى الهلاك ولذا فسر به وقال الراغب هو الاستمرار فى الحسran ولتضمنه الاستمرار قيل استتب لغان كذا أى استمر ويرجع هذا المعنى الى الهلاك (يَدَا أَبِي لَهَبٍ) هو عبد العزيز بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد المعادة والمناسبة له عليه الصلاة والسلام ومن ذلك ما فى الجمع عن طارق المحاربي قال بينا أنا بسوق ذى المجاز اذا أنا برجل حديث السن يقول أىها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول يا أيها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انه نبي وهذا عمه أبو لهب يزعم انه كذاب وأخرج الامام أحمد والشيخان والترمذى عن ابن عباس قال لما تزات وأنذر عشيرتكم الاقربين سعدنا بنى صلى الله تعالى عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهريابنى عدى لبطنون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاءه أبو لهب وقريش فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن خيالا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدق قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فانى نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر الايام ألهذا جعتمنا فنزلت ويروى أنه مع ذلك القول أخذ بيديه حجرا ليرمى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن هذا يعلم وجه ايتار التباب على الهلاك ونحوه مما تقدم واسناده الى يديه وكذا مما روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس أيضا أن أبا لهب قال لما خرج من الشعب وظاهر قريشان محمدا يمدنا اشياء لا نراها كائنة يزعم انها كائنة بعد الموت فاذا وضع فى يديه ثم نفخ فى يديه ثم قال تبالك ما أرى فيك شيئا مما يقول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت تبت يدا ابي لهب وعماروى عن طارق يعلم وجه الثانى فقط فاليدان على المعنى المعروف والكلام دعاه بهلا كما وقوله سبحانه (وَتَبَّتْ) دعاه بهلاك كله وجوز ان يكونا اخبارين بهلاك ذينك الامرين والتعبير بالماضى فى الموضوعين لتحقق الوقوع وقال الفراء الاول دعاه بهلاك جملة على ان اليدين اما كناية عن الذات والنفس لما بينهما من الزوم فى الجملة أو مجاز من اطلاق الجزء على السكل كما قال عبي السنة والقول فى رده انه يشترط أن يكون السكل بعدم بعده كالرأس والرقبة واليد ليست كذلك غير مسلم لتصریح فحول بخلافه هنا وفى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو المراد على ما قيل بذلك الشرط يمدم حقيقة أو حكا كما فى اطلاق العين على الرينة واليد على المعطى أو المتعاطى لبعض الافعال فان الذات من حيث اتصافها بما قصدا تصافها به بعدم عدم ذلك العضو والثانى اخبار بالحصول أى وكان ذلك وحصل كقول النابغة

جزانى جزاء الله شر جزائه ✽ جزاء السكلاب العاويات وقد فعل

واستظهر أن هذه الجملة حالية وقدم قدرة على المشهور كما قرأه ابن مسعود وفى الصحيحين وغيرها من حديث ابن عباس

في سبب النزول فنزلت هذه السورة ثبت يدا أبي لهب وقد تبت وعلى هذه القراءة يمتنع أن يكون ذلك دعاء لان قد
 لا تدخل على أفعال الدعاء وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله حيث لم يفده ولم ينفعه لان الاعمال تزاو بالأيدي غالباً والثاني
 اخبار عن هلاك نفسه وفي التأويلات اليد بمعنى النعمة وكان يحسن الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والى قريش
 ويقول ان كان الامر لمحمد فلي عنده يد وان كان لقريش فكذلك فأخبر أنه خسرت يده التي كانت عند
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعناده له ويده التي عند قريش أيضاً بخسران قريش وهلاكهم في يد النبي
 عليه الصلاة والسلام فهذا معنى ثبت يدا أبي لهب والمراد بالثاني الاخبار بهلاكه نفسه وذكر
 بكنيته لاشتهاره بها وقد أريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له وذكره بأشهر عليه أوفق
 بذلك ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب ومعاوية بن أبي سفيان لثلاثين
 منه شيء فيشكل على السامع أو لكراهة ذكر اسمه انقيحاً أو لانه كاروى عن مقاتل كان يكنى بذلك لتلهب وجنبيه
 واشراقهما فذكر بذلك تهكاً به وبافتخاره بذلك أو لتجانس ذات لهب ويوافقه لفظاً ومعنى والقول بأنه ليس
 بتجنيس لفظي لانه ليس في الفاصلة وهم فاتهم لم يشترطوه فيه أو لجملة كناية عن الجهنمي فكانه قيل ثبت يدا جهنمي
 وذلك لان انتسابه الى اللهب كانتساب الاب الى الولد يدل على ملازمته له وملازمته اياه كما يقال هو أبو
 الخير وأبو الشر وأخو الفضل وأخو الحرب لمن يلازم هذه الامور ويلازمها وملازمته لذلك تستلزم
 كونه جهنمياً لزوماً عرفياً فان اللهب الحقيقي هو لهب جهنم فالانتقال من أبي لهب الى جهنمي انتقال من
 الملزوم الى اللزوم أو بالعكس على اختلاف الرأيين في الكناية فان التلازم بينهما في الجملة متحقق في الخارج
 والذهن الا ان هذا اللزوم انما هو بحسب الوضع الاول أعني الاضافي دون الثاني أعني العلمي وهم يعتبرون
 في الكنى المعاني الاصلية فأبو لهب باعتبار الوضع العلمي مستعمل في الشخص المعين وينتقل منه باعتبار
 وضعه الاصلى الى ملابس اللهب وملازمه لينتقل منه الى انه جهنمي فهو كناية عن الصفة بالواسطة
 وهذا ما اختاره العلامة الثاني فعنده كناية بلا واسطة لان معناه الاصلى أعني ملابس اللهب ملحوظ
 مع معناه العلمي واحق مع العلامة لان أبا لهب يستعمل في الشخص المعين والتكلم بناء على اعتبارهم المعاني
 الاصلية في الكنى ينتقل منه الى المعنى الاصلى ثم ينتقل منه الى الجهنمي ولا يلاحظ معه معناه الاصلى والا
 اسكان لفظ أبي لهب في الآية مجازاً سواء لوحظ (١) معناه الاصلى بطريق الجزئية أو التقييد لكونه
 غير موضوع للمجموع وما قيل ان المعنى الحقيقي لا يكون مقصوداً في الكناية وان مناط الفائدة والصدق
 والكذب فيها هو المعنى الثاني وههنا قصد الذات المعين فليس بشيء لان الكناية لفظ أريد به لازم معناه
 مع جواز ارادته معه فيجوز ههنا ان يكون كلا المعنيين مراداً وفي المفتاح تصریح بان المراد في الكناية
 هو المعنى الحقيقي ولازمه جميعاً وزعم انسيد أيضاً ان الكناية في أبي لهب لانه اشتهر بهذا الاسم ويكونه
 جهنمياً فدل اسمه على كونه جهنمياً دلالة حاتم على أنه جواد فاذا أطلق وقصد به الانتقال الى هذا المعنى
 يكون كناية عنه وفيه انه يلزم منه ان تكون الكناية في مثله موقوفة على اشتهار الشخص بذلك العلم
 وليس كذلك فانهم ينتقلون من الكنية الى ما يلزم مسماها باعتبار الاصل من غير توقف
 على الشهرة قال الشاعر

قصدت أنا المحاسن كي أراه ❦ لشوق كاد يجذبني اليه

فلما أن رأيت رأيت فرداً ❦ ولم أر من بنيه ابناً لديه

(١) سواء لوحظ الخ كذا في النسخ بغير ذكر الطرف الثاني المقابل لقوله لوحظ اه منه

على أن فيه بعد ما فيه وقرأ ابن عبيد بن جراح وابن كثير أبي لُهب بسكون الهاء وهو من تغيير الاعلام على ما في الكشف وقال أبو البقاء الفتح والسكون لغتان وهو قياس على المذهب الكوفي (ما أغنى عنه ماله) أي لم يغن عنه ماله حين حل به التباب على أن ما نافية ويجوز أن تكون استفهامية في محل نصب بما بعدها على أنها مفعول به أو مفعول مطلق أي أي اغناه أو أي شيء أغنى عنه ماله (وما كسب) أي والذي كسبه على أن ما موصولة وجوز أن تكون مصدرية أي وكسبه وقال أبو حيان إذا كان ما الأولى استفهامية فيجوز أن تكون هذه كذلك أي وأي شيء كسب أي لم يكسب شيئاً وقال عصام الدين يحتمل أن تكون نافية والمعنى ما أعبد عنه ماله مضره وما كسب منفعة وظاهره أنه جعل فاعل كسب ضمير المال وهو كما ترى واستظهر في البحر موصوليتها فالعائد محذوف أي والذي كسبه به من الأرباح والتناجج والمنافع والوجهة والابحار أو ما أغنى عنه ماله الموروث من أبيه والذي كسبه بنفسه أو ماله والذي كسبه من عمله الحديث الذي هو كيد في عداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال الضحاك وأمن عمله الذي يظن أنه منه على شيء لقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً كما قال قتادة وعن ابن عباس ومجاهد ما كسب من الولد أخرج أبوداود عن عائشة مرفوعاً أن أطيّب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه وروى أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإنا أفتدى منه نفسي بمالي وولدي وكان له ثلاثة أبناء عتبة ومعتب وقد أسلما يوم الفتح وسر النبي عليه الصلاة والسلام بإسلامهما ودعا لهما وشهدا حينئذ والطائف وعتيبة بالتصغير ولم يسلم وفي ذلك يقول صاحب كتاب الألباء

كرهت عتيبة إذ أجزما ❦ وأحييت عتبة إذ أسلما

كذا معتب مسلم فاحترز ❦ وخف أن تسبقتي مسلما

وكانت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند عتيبة ورقية أختها عند أخيه عتبة فلما نزلت السورة قال أبو لُهب لهما رأيت رؤسكم حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فطلقاها إلا أن عتيبة المصفر كان قد أراد الخروج إلى الشام مع أبيه فقال لا تين محمداً عليه الصلاة والسلام وأؤذينه فأثناء فقال يا محمد اني كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم نفل نجاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصبه عليه الصلاة والسلام شيء وطلق ابنته أم كلثوم فاغضبه عليه الصلاة والسلام بما قال وفعل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط عليه كلباً من كلابك وكان أبو طالب حاضراً فذكره ذلك وقال له ما أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع إلى أبيه ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلاً فأشرف عليهم راهب من دير وقال لهم ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لُهب أغيتوني بامشر قريش في هذه الليلة فاني أخاف على ابني دعوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجمعوا جهلهم وأناخوها حولهم خوفاً من الأسد فجاء أسد يتشمم وجوههم حتى أتى عتيبة فقتله وفي ذلك يقول حسان

من يرجع العام إلى أهله ❦ فما أكيل السبع بالراجع

وهلك أبو لُهب نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليل فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثاً حتى اتنت فلما خافوا العار استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه وفي رواية حفرها له حفرة ودفنوه بعود حتى وقع فيها فدفنوه بالحجارة حتى واروه وفي أخرى أنهم لم يحفروا له وإنما أسندوه لحائط وقذفوا عليه الحجارة من خلفه حتى تواری فسكان الأمر كما أخبر به القرآن وقرأ عبد الله وما اكتسب بناه الا فتعال (سيصلى ناراً) سيد خلفها لإعماله في الآخرة ويقامى حرها

والسين لتأكيد الوعيد والتنوين لتعظيم أى ناراً عظيمة (ذَات كَلْبٍ) ذات اشتعال وتوقد عظيم وهي نار جهنم وجملة ما أغنى الخقال في الكشف استئناف جوابا عما كان يقول انا افتدى بمالى ويتوهم من صدقه وفيه تحسيره وتهكم بما كان يفتخر به من المسال والبزين وهذه الجملة تصوير للهلاك بما يظهر معه عدم اغناء المال والولد وهو ظاهر على تفسير ما كسب بالولد وقال بعض الافاضل الاولى اشارة لهلاك عمله وهذه اشارة لهلاك نفسه وهو أيضاً على بعض الاوجه السابقة فتذكر ولا تفعل وقوله تعالى (وَأَمْرَأَتُهُ) عطف على المستكن في سبيلى لمكان الفصل بالمفعول وقوله تعالى (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) نصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على أن الاضافة غير حقيقية للاستقبال على ما ستمعه ان شاء الله تعالى وهي أم حبل بنت حرب أخت أبى سفيان أخرج ابن عساکر عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر رضى الله تعالى عنهما أن عقيل بن أبى طالب دخل على معاوية فقال معاوية له أين ترى عمك أبالحب من النار فقال له عقيل اذا دخلتها فهو على يسارك مفترش عمك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب ولا أظن صحة هذا الخبر عن الصادق لان فيه ما فيه وكانت على ما في البحر عوراه ووسمت بذلك لانها على ما أخرج ابن أبى حاتم وابن جرير عن ابن زيد كانت تأتي بأغصان الشوك تظرحها بالليل في طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل كانت تحمل حزمة الشوك والحسك والسعدان فتشرها بالليل في طريقه عليه الصلاة والسلام وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير وروى عن قتادة أنها مع كثرة ما لها كانت تحمل الحطب على ظهرها الشدة بخلفها فعميت بالبخل وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه وعن مجاهد انها كانت تمشى بالنخلة وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن أيضا وروى عن ابن عباس والسيدي ويقال لمن تمشى بها يحمل الحطب بين الناس أى بوقد بينهم النائرة ويؤثر الشر فالحطب مستعار للنخلة وهي استعارة مشهورة ومن ذلك قوله

من البيض لم تصطد على ظهر لامة ❦ ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب

وجعله رطباً ليدل على التدخين الذى هو زيادة في الشر ففيه ايغال حسن وكذا قول الراجز

ان بنى الادرم حملو الحطب ❦ هم الوشاة في الرضاه والغضب

وقال ابن جرير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحطبل على ظهره اذا كان يكتسب الاثم والخطايا والظاهر أن الحطب عليه مستعار للخطايا بجامع أن كلا منهما مبدأ للاحراق وقيل الحطب جمع حاطب كحارس وحرس أى تحمل الجناة على الجنايات وهو محمل بعيد وقرأ أبو حيوه وابن مقسم سبيلى بضم الياء وفتح الصاد وشد اللام ومرئته بالتصغير والهمز وقرئ ومرئته بالتصغير وقلب الهمزة ياء وادغامها وقرأ الحسن وابن اسحق سبيلى بضم الياء وسكون الصاد واختلس حركة الهاء في امرأته أبو عمر وفي رواية وقرأ أبو قلابة حمالة الحطب على وزن فاعله مضافاً وقرأ الاكثرون حمالة الحطب بالرفع والاضافة وقرئ حمالة للحطب بالتنوين رفعا ونصبا وبلاد الجر في الحطب وقوله تعالى (فِي حَيْدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ) جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر في موضع الحال من الضمير في حمالة وقيل من امرأته المعطوف على الضمير وقيل الطرف حال منها وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو خبر لامرأته وهي مبتدأ للمعطوفة على الضمير وحبل فاعل وعلى قراءة حمالة بالرفع قيل امرأته مبتدأ وحمالة خبر وفي حيدها حبل خبر ثان أو حال من ضمير حمالة أو الطرف كذلك وحبل مرتفع به على الفاعلية أو امرأته مبتدأ وحمالة صفته لانه للماضى فيتعرف بالاضافة والخبر على ما سمعت أو امرأته عطف على الضمير وحمالة خبر مبتدا محذوف أى هي حمالة وما بعد خبر ثان أو حال من ضمير حمالة على نظير ما مر وفي التركيب غير ذلك من أوجه الاعراب سيد کران شاء الله تعالى وبعض ما ذكرناه ههنا غير مطرد على

جميع الأوجه في معنى الآية كما لا يخفى عند الاطلاع عليها على التأمل والمسد ماسد أي قتل من الحبال فتلاشديداً من ليف المقل على ما قال أبو الفتح ومن أي ليف على ما قيل وقيل من لحاء شجر باليمن يسمى المسد وروى ذلك عن ابن زيد وقد يكون كما في البحر من جلود الابل أو أوبارها ومنه قوله
ومسد أمر من أباتق ❖ ليست بانساب ولا حقائق

أي في عنقها جبل مما مسد من الحبال والمراد تصويرها بصور الخطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تخسيساً لحالها وتحقيراً لها لتمتع من ذلك ويمتنع بعلها إذ كانا في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عبر بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحاله الخطب فقال

ماذا أردت إلى شمتي ومنقصتي ❖ أم ما تعير من حمالة الحطب

غراء شادخة في المجدغرتها ❖ كانت سليمة شيخ ناقب الحسب

وقد أغضبها ذلك فيروى أنها لما سمعت السورة أنت أبا بكر رضي الله تعالى عنه وهو مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد ويدها فتهر فقلت بلغتني أن صاحبك هجاني ولا فعلن وأفعلن وإن كان شاعراً فإنا مثله أقول
مذمما أبينا ❖ ورينه قلينا ❖ وأمره عصينا

وأعنى الله تعالى بصورها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فروى أن أبا بكر قال لها هل ترى ممي أحداً فقالت أمهزأبي لا أرى غيرك فسكت أبو بكر ومضت وهي تقول قريش تعلم اني بنت سيدها فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام لقد حجبتني عنها لثكك فأرأتني وكفى الله تعالى شرها وقيل ان ذلك ترشيح للمجاز بناء على اعتباره في حمالة الحطب وفي الكشف يحتمل أن يكون المعنى تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها جبل مما مسد من سلال النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه وعليه فالجبل مستعار للسلسلة وروى هذا عن عروة بن الزبير ومجاهد وسفيان وأمر الأعراب على ما في الكشف انه ان نصب حمالة يكون حالها هو والجملة أعنى في جيدها جبل عن المطوف على ضمير سيصلي أي تنصلي امرأته على هذه الحالة أو يكون حمالة نصبا على الذم والجملة وحدها حالا أو امرأته في جيدها جبل جملة وقعت حالا عن الضمير ويحتمل عطف الجملة على الجملة على ضمف وعنى الرفع يحتمل أن تكون الجملة حالا وان يكون امرأته عطفاً على الفاعل وحمالة الحطب في جيدها جملة لا محل لها من الأعراب وقعت بيانا لكيفية صلبها أي هي حمالة الحطب انتهى فتأمل ولا تغفل وعلى جميع الأوجه والاحتمالات إنما لم يقل سبحانه في عنقها والمعروف أن يذكر العنق مع الفل ونحوه مما فيه امتهان كما قال تعالى في اعتناقهم أغلالا والحيد مع الحلى كقوله ❖ وأحسن من جيد المايحة حلبي ❖ ولو قال عنقها كان غنا من الكلام قال في الروض الأنف لانه تهكم نحو فبشرهم بعذاب أليم أي لا جيد لها فيحلى ولو كان لكانت حلبيته هذه ولتحقيرها قيل امرأته ولم يقل زوجها انتهى وهو بديع جدا الا انه يعبر على آخره قوله تعالى وامرأته قائمة ولله استعان ههنا على ما قال بالمقام وعن قتادة انه كان في جيدها قلادة من ودع وفي معناه قول الحسن من خرز وقال ابن المسيب كانت قلادة فاخرة من جوهر وأنها قات واللات والمزى لانفقها على عداوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولعل المراد على هذا انها تكون في نار جهنم ذات قلادة من حديد مسود بدل قلادتها التي كانت تقول فيها

لانفتقها الخ وعلى ما قبله تهجين أمر فلاذتها لتأكيد ذمها بالبخل الدال عليه قوله تعالى حمالة الحطب على ما نقلناه سابقا عن قتادة ويحتمل غير ذلك ووجه التعبير بالجيد على ما ذكر مما لا يخفى وزعم بعضهم أن الكلام يحتمل أن يكون دعاه عليها بالحقق بالحبل وهو عن الذهن مناط الثريا نعم ذكر انها ماتت يوم ماتت مخنوقة بحبل حمات به حزمة حطب لكن هذا لا يستدعى حمل ما ذكر على الدعاء هذا واستشكل أمر تكليف أبي لُهب بالإيمان مع قوله تعالى سيصلى الخ بأنه بعد ان أخبر الله تعالى عنه بأنه سيصلى النار لا بد أن يصلها ولا يصلها الا الكافر فالأخبار بذلك يتضمن الأخبار بأنه لا يؤمن أصلا فتي كان مكلفا بالإيمان بما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه ما ذكر لزوم أن يكون مكلفا بان يؤمن بان لا يؤمن أصلا وهو جمع بين التقيضين خارج عن حد الامكان وأجيب عنه بأن ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن الكريم حتى يلزم أن يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر ويقال نحو هذا في الجواب عن تكليف الكافرين المذكورين في قوله تعالى قل يا أيها الكافرون الخ بالإيمان بناء على تعيينهم مع قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد الخ بناء على دلالة على استمرار عدم عبادتهم ما يعبد عليه الصلاة والسلام وأجاب بعضهم بأن قوله تعالى سيصلى الخ ليس نصا في أنه لا يؤمن أصلا فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لُهب منه أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره ولا يجرى هذا في الجواب عن تكليف أولئك الكافرين بناء على فهمهم السورة ارادة الاستمرار وأجاب بعض آخر بان من جاء فيه مثل ذلك وعلم به مكلف بان يؤمن بما عدها مما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وأجاب الكمي وأبو الحسين البصري وكذا القاضي عبد الجبار بغير ما ذكر مما رده الامام وقيل في خصوص هذه الآية أن المعنى سيصلى نارا ذات لُهب ويخلد فيها ان مات ولم يؤمن فليس ذلك مما هو نص في أنه لا يؤمن وما لهذه الاجوبة وما عليها يطلب من مطولات كتب الاصول والكلام واستدل بقوله تعالى وامرأته على صحة أنسكحة الكفار والله تعالى أعلم

سورة الاخلاص

وسميت بها لما فيها من التوحيد ولذا سميت أيضا بالاساس فان التوحيد أصل لسائر أصول الدين وعن كعب كإقال الحافظ بن رجب أسست السموات السبع والارضون السبع على هذه السورة قل هو الله أحد ورواه الزمخشري عن أبي وأنس مرفوعا ولم يذكره أحد من المحدثين المعتبرين كذلك وكيف كان فالمراد به كإقال ما خلقت السموات والارضون الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي تضمنتها هذه السورة وقيل معنى تأسيسها عليها أنها انما خلقت بالحق كإقال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناها الا بالحق وهو العدل والتوحيد وهو ان لم يرجع الى الاول لا يخلو عن نظر وقيل المراد ان مصحح ايجادها أي بعد ما مكنتها الفاني ما أشارت اليه السورة من وحدته عز وجل واستحالة ان يكون له سبحانه شريك اذ لو لا ذلك لم يمكن وجودها لا مكان التمانع كما قررره بعض الاجلة في توجيه برهانية قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفيه بعد وتسمى أيضا سورة قل هو الله احد كما هو مشهور يشير اليه الاثر أيضا والمقشقة لما سمعت في تفسير سورة الكافرون وسورة التوحيد وسورة التفريد وسورة التجريد وسورة النجاة وسورة الولاية وسورة المعرفة لان معرفة الله تعالى انما تتم بمعرفة ما فيها وفي اثر أن رجلا صلى فقرأها فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا عبد عرف ربه وسورة الجمال قيل لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله جميل يحب